القسم الأول

الباب الأول

كتابات وتعليقات العلماء المنشورة حول كتاب رودينسون (عرض ونقد)

يقوم هذا الكتاب على بحث ألقي في المؤتمر الدولي للترجمة ودورها في تفاعل الحضارات بجامعة الأزهر في الفترة ما بين ١٦ إلى ١٨ يونيه ١٩٩٨م ، ثم رأيت أن أوسعه وأنشره على هذا النحو الذي أمكن معه الرد على دعاوى رودينسون بتفصيل أكثر وأدلة أوفر تبين تهافت دعاواه الباطلة وتحامله العنصري على أعظم شخصية عرفها تاريخ الإنسانية منذ بدايته وحتى نهايته .

نشر كتاب مكسيم رودينسون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فرنسا في بداية الستينات باللغة الفرنسية وفي بداية السبعينيات باللغة الإنجليزية . وكان هذا الكتاب على رداءة فكرته وسوء خطته يوزع في مصر ، بل كان يدرس بالجامعة الأمريكية للطلاب والطالبات المسلمين والمسلمات وبالرغم من وجود لجنة لمتابعة ومراجعة مثل هذه الكتب بمجمع البحوث الإسلامية ، وكاتب هذه السطور أحد المتعاونين معها ، فيما يخص الكتب الأجنبية ، وبالرغم من وجود هذا الكتاب في مكتبتي الخاصة منذ أكثر من عشرين عامًا ، فإنه لم يصل إلى علمنا أن الكتاب كان يدرس لعدة سنوات بقسم التاريخ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، والذي سبق أن نقدته أكثر من مرة في محاضراتي بإنجلترا ، واستمر الكتاب يدرس حتى كتب الأستاذ صلاح منتصر عنه في عموده الخاص بجريدة الأهرام في عددها الصادر في (١٣/٥/ ١٩٩٨) تحت عنوان (***كتاب يجب وقفه***) ومن ثم فقد لفت الأنظار إلى بعض ما يحتوي عليه هذا الكتاب من مغالطات وافتراءات حول سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

عرض الكاتب صلاح منتصر بأسلوب هادئ ومفعم بالحرارة في نفس الوقت برغم فداحة الجرم ، لست نقاط مما يحتوي عليه هذا الكتاب ثم قال:«إن حرية العلم والتعليم

ليس معناهـا ترك آلاف الكتـب ، واختيـار هذا الكتـاب بـالذات الـذي يمس العقيدة الإسلامية ليقال بعد ذلك إنها حرية التفكير والتعليم . وفي خاتمة مقاله دعا الكاتب إلى ضرورة وقف تدريس هذا الكتاب فورًا إذ أن قضيته لا تقبل المساومة .

وقد جاءت استجابة الدكتور الوزير مفيد شهاب لدعوة الكاتب فورية فأصدر أمره مشكورًا إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة بضرورة وقف تدريس الكتاب . وقد استجاب رئيس الجامعـة فرانك فاندفير لهذا المطلـب بل وقدم اعتذارًا عمـا حدث معربًـا عن أن تدريس الكتاب إنما كان تصرفًا فرديًـا لأحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة . وعلى أثر مـا نشر سـارع الدكتور نصر فريد واصل مفـتي الجمهورية بإصدار بيـان نشرته جريدة عقيدتي (بتـاريخ ٢٣ من المحرم ١٤١٩هـ ١٩ مايو١٩٩٨ م ص ١٤-١٥) وجريدة الأحرار(في ٢٦ من المحرم -٢٢ مـايو ص ٧) يدين الكتاب ويفند فيـه النقاط الست الواردة بمقال الأستاذ صلاح منتصر ، وقد نبه بيان دار الإفتاء على «أن هذه الافتراءات والضلالات ليس المقصود مـن ورائها إلا إثارة الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانـات الأخـرى ، وزعزعـة الأمن العـام والخـاص بـين المواطنـين علـى اختلاف مستوياتهم ، وهذا ما يجب التنويه بـه والتنبيه عليـه للعامة والخاصـة» كما نادى البيان أيضًا «بأنه يجب علينا أن نكون على يقظة تامة بما يفعله أعداء الإسلام والسلام وأعداء الديانات الإلهية السـماوية كلها التي جاءت لنشـر المحبة بين الناس جميعًا وتحقيق الأخوة والمودة بينهـم على اختلاف أجناسـهم وألوانهم وعقـائدهم ،وذلـك لمصـالح شخصية وأهداف خاصـة يبتغون من ورائها منافع ماديـة أو سياسية» . ويضيف البيـان أنه كان «على أصحاب هذه الأفكـار الضالة والمزاعم الباطلـة ، إن كانت لديهم شـبهة وكانوا حسـني النيـة وأرادوا توضيحهـا فكـان الواجـب عليهـم أن يعودوا إلى أهـل الذكر ،والمؤسسـات الدينية فيما يعن لهم من شـبهات لنبينها لهم بالحجـة والموعظة الحسنة» . كذلـك ناقشـت لجنـة التعليم بمجلس الشـعب بعض الطعـون التي وجههـا مكسـيم رودينسون إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى القرآن والعقيدة الإسلامية .

وتحت عنوان كتاب (***مكسيم رودينسون والجامعة الأمريكية***) كتبت الدكتورة ليلى عنـان ـ أستاذة الحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة ـ مقالاً حول هذا الموضوع ترى فيـه أن الكاتب ليس موضوعيًا قـط وأنه هو نفسـه «قد يكون أول من يحتاج إلى تحليل نفسـي فرويدي» وتصف الكتاب بأنـه خبيث ،وبأنه ملئ بـالدجل ويقوم على أسلوب ذكي مغلف بالسخرية ، ومؤلفه يسـعى عن طريق الإيحاء أن يقنع القارئ الغربي أن ما

فعله محمد باليهود من حرب ومن إبادة يشبه ذلك الذي أوقعه بهم النازي في ألمانيا في العصر الحديث . وقد تكلمنا في هذا البحث عن هذه التهمة الباطلة التي كان مكسيم رودينسون يسعى إلى ترويجها في الأوساط الأوربية لتسميم الرأي العام ضد المسلمين وعقيدتهم ونبيهم .

ومن المفيد أن ننقل بعض التعليقات الموضوعية للكاتبة تقول «المستشرق الفرنسي مكسيم رودينسون نشر في عام ١٩٦١ كتابا عنوانه (موهامد) ويؤكد فيه مؤرخنا اليهودي موضوعيته في تناوله قصة نبي الإسلام ، واحترامه للمسلمين ، ثم يقول كلامًا لا يسعنا إلا الموافقة عليه . فهو يؤكد حقيقة بديهية : (أنا طبعًا غير مؤمن بأن القرآن هو كتاب الله . وإلا أصبحت مسلمًا).. كلام منطقي لن يختلف عليه اثنان ؛ لأنه يهودي الديانة ، وبالتالي لا يمكن أن يؤمن بغير دينه ، ونحن نؤمن أن ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . وبناء عليه ، فهو يعرض وجهة نظر الآخر ، مؤكدًا موضوعية لا نرى لها أي أثر في كتاب يبني نظريته على معرفة نفسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، قوامها (عقله الباطن) .. فما أسهل اللجوء إلى هذا المسمى الغامض الذي يدعي مؤرخنا اليهودي معرفته ، والاستناد عليه لتأكيد كل ما يحلو له من مبررات أو نوايا ، لا يعرفها إلا الله . قد يكون أول من يحتاج إلى تحليل نفسي فرويدي هو المؤرخ نفسه» فمثلاً وبادئ ذي بدء ، لماذا يكون عنوان كتابه «ماهوميه» . بإيحاءاته المضللة ، خاصة أنه بعد ذلك ، وعلى مدى ٣٨٠ صفحة ، لا يسمي النبي إلا «موهامد» أي «محمد» بالفرنسية ؟

ثم تقدم الدكتورة ليلى عنان المفهوم الغربي لكلمة «موهامد» كما هي في اللغة الفرنسية فتقول : «كانت فلسفة التنوير قد أخذت في فرنسا بالذات صورة هجوم ضار على كل الديانات ، والدين المسيحي بالذات ، وذلك منذ القرن الثامن عشر ، ومن أشهر ما نشر آنذاك ، كتيب عنوانه «الدجالون الثلاثة : موسى وعيسى وماهوميه» . و«ماهوميه» هذا ، هو الاسم الذي عرف به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ القرون الوسطى الأوربية . واستعمال «ماهوميه» يشير إلى كل ما كتب آنذاك عن نبي الإسلام من أكاذيب وافتراءات ، بما فيها مثلاً أن دينه الجديد يطلب من مريديه عبادة صنم له رأس حمار . ولم يتغير استعمال الاسم إلا مؤخرًا ، حتى أن رودينسون نفسه استعمل في كتابه اسم «موهامد» أي محمد وليس «ماهوميه» ويبقى السؤال : لماذا اختار «ماهوميه» عنوانا لكتابه ؟ لن نلجأ مثل رودينسون إلى دجل

استعمال «العقل الباطن» لشرح موقف مؤرخنا . فالحال عنده ، والحمد لله ، «عقل ظاهر جدًّا» لا يحتاج إلى البحث عن باطن» .

وفي نفس العدد من جريدة الأهرام (٢٥ مايو ١٩٩٨) وفي نفس الصفحة (قضايا وآراء) كتب سامر سليمان حول نفس الموضوع مقالا يدافع فيه عن الدكتور الفرنسي ديبييه ، المدرس بقسم التاريخ بالجامعة الأمريكية ، ومن البداية وصف سامر سليمان ردود العلماء على هذا الكتاب بأنها «ضجة مفتعلة» ثم قال : إن هذا الأستاذ «بالرغم من أنه أجنبي إلا أنه منتم لمصر ، ومدافع عن قضايا العرب ، وأنه لم يعرف أحد عن هذا الأستاذ أنه معاد للإسلام بأي صورة من الصور ، ولكن من الثابت عنه لكل المصريين والمسلمين الذين عرفوه في قاعات الدرس وخارجها أنه مناوئ شديد للعداء للإسلام والمسلمين باعتبار أن العداء أحد أشكال العنصرية ، وأنه مدافع أصيل عن الفهم الموضوعي للدين الإسلامي باعتباره مكونًا أساسيًّا من مكونات المجتمعات العربية التي تخصص هذا الأستاذ في تاريخها». وأضاف نفس الكاتب أن الأستاذ الفرنسي من المعادين للصهيونية العنصرية ، ومن المناصرين بشكل قاطع لتحرير فلسطين .

أشار الكاتب إلى أن كتاب رودينسون كان ضمن كتب مكتبة الجامعة الأمريكية منذ صدوره بالفرنسية منذ حوالي ثلاثين عامًا وأن الأستاذ دبييه لم يقرره على الطلبة كمادة ، وإنما كلفهم فقط بقراءة نقدية له critical review .

وينتهي سامر سليمان من عرضه ودفاعه إلى هذه النتيجة «هذا هو ما حدث وهذه هي الملابسات الحقيقية للموضوع فليس هناك على الإطلاق محاولة لبث السم داخل عقول الطلاب وتشكيكهم في عقيدتهم ، لقد كان من الظلم الشديد أن يتهم الأستاذ بالهجوم على الإسلام لأنه كلف الطلاب بعمل عرض نقدي للكتاب» .

وذكر نفس الكاتب أن التحقيق الذي أجرته الجامعة الأمريكية مع الأستاذ أثبت على العكس حسن نيته ، بل إن الطلاب قد دافعوا عنه لمواقفه المنصفة من الإسلام والمسلمين . ثم يشير إلى ما ذكره نفس الأستاذ بالأهرام أيضا من أنه رفض أن يدلي بأي تصريح عن الموضوع للصحافة الأجنبية حتى لا يستغل كلامه في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين .

وهذا الكلام طيب أن يصدر عن مصري يحاول أن يدافع عن ضيف يبدي مشاعر

الود والمناصرة لنا ولقضايانا ، ونحن نقدر للكاتب وللمكتوب عنه ذلك . ولكنني فقط كنت أود من الأستاذ الفرنسي أولاً : أن يفرق بين مادة التاريخ التي تخصص فيها ، وبين مادة السيرة النبوية والتي هي علم قائم بذاته وتدرس كمادة مستقلة ، مما جعل الكاتب يخرج عن نطاق تخصصه. وثانيًا : فإنني كنت أود أن يدعو الدكتور ديبيبه أحد علماء المسلمين المتخصصين ليحاضر طلبته حول موضوع هذا الكتاب ويبين ما فيه من تجن على المنهج العلمي وعلى الحقائق التاريخية وبخاصة إذا كانت تتصل بأعظم وأطهر شخصية عرفها التاريخ ، وبأوثق وأصدق كتاب طالعته العين الإنسانية على هذا الكوكب . ناهيك بعقيدة يدين بها أكثر من خمس سكان العالم . إنه ما كان لهذا الأمر أن يترك لاجتهاد الطلاب وحدهم فإن طاقة الطالب الجامعي الإبداعية والنقدية ومعلوماته الدينية ، وطالب الجامعة الأمريكية بوجه خاص ، محدودة بلا شك . أضف إلى ذلك أن هؤلاء الطلاب لم يأتوا إلى الجامعة من معاهد أزهرية ، ولم يتعمقوا في دراسة المواد العربية والدينية . بل إن معظمهم إن لم يكن كلهم قد درسوا في مدارس لغات أو حصلوا على شهادات من الخارج .

ولقد كنت أود أيضًا أن يقول الكاتب سامر سليمان شيئًا ولو سطرًا واحدًا في الدفاع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي تخطئة مكسيم رودينسون بدل أن يجند المقال كله للدفاع عن الأستاذ الفرنسي ، ولكننا مع هذا لا نتهم الكاتب في عقيدته ولا نشكك في نيته فلعل الأفكار زاحمته فأبعدته عن المقصد الأسنى .

ونضيف إلى هذا أن الكتاب ، وهذا مما لا ينبغي تجاهله ، لم يكلف به الطلاب للقراءة الحرة ، وإنما كان مقررًا وكان عليه ٣٠ ٪ من درجات المادة ، وبالتالي فقد كانت قراءته واجبة كما أوضح الكاتب صلاح منتصر بالأهرام (عدد ١٥ يونيو ١٩٩٨ ص ١١) .

في عموده الخاص (من قريب) كتب الأستاذ سلامة أحمد سلامة مقالتين حول هذا الموضوع : الأولى بتاريخ ١٥ مايو ١٩٩٨م ، وعنوانها (***زوبعة كتاب محمد***). والثانية بعنوان (***رسالتان وعقليتان***) وهي بتاريخ ٦ يونيو ١٩٩٨م ، وقد صممت المقالتان للدفاع عن الأستاذ الفرنسي الذي كلف الطلاب بقراءة الكتاب لنفس السبب الذي ذكره الأستاذ سامر سليمان إلا أن الأستاذ سلامة أحمد سلامة قد أطلق على اهتمام العلماء بقضية الكتاب في أصل وضعه ، وفي اختياره هو بالتحديد من بين الكتب وتكليف الطلاب بقراءته ، «زوبعة مفتعلة ، أثيرت حول مدرس مادة تاريخ

العرب بالجامعة الأمريكية» هذا و لم يقدم لنا الكاتب أسباب افتعال هذه الزوبعة .

قال الأستاذ سلامة بطريقة إنذارية «لا بد أن تتضح أمام أعيننا الأسباب الحقيقية لانتشار ظاهرة النفاق العلمي ، وتدني مستوى التعليم الجامعي ، وانهيار تقاليد البحث العلمي وتفشي ظاهرة الدروس الخصوصية في الجامعة» . ولا داعي لتكرار ما قاله الأستاذ سلامة أحمد سلامة في هذه المقالة لتبرئة الأستاذ الفرنسي مما نسب إليه . إلا أن الحق يقتضينا أن نخالف الكاتب الصحفي في طريقة تشخيصه للمسألة موضوع النقاش بأنها «نفاق علمي» ، وتحميله للموضوع أكثر مما يحتمل ـ أعني موضوع الدفاع عن الأستاذ الفرنسي ـ ونتساءل هل الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نفاقًا علميًّا؟ ! وهل تنبيه طلابنا على خطر ما قد يلقى إليهم يعد نفاقًا ، وحجرًا على التفكير الحر والبحث العلمي ؟! وبخاصة إذا كانوا يدرسون في بلادهم ويعيشون في حضن دينهم وقيمهم وتقاليدهم ، إنه كان يمكن للكاتب أن يدافع عن الأستاذ الفرنسي بما يراه صالحًا دون أن يصف كل من قال كلمة في كتاب يخوض في دين الأمة ، بالنفاق والجمود ، إن الأمم لابد أن يكون لديها ما تعتز به ولا تسمح بحال بالنيل منه ، والأمة التي لا مقدسات لها أمة هضيمة وواهية ، مهما تكن قوتها المادية .

أما المقال الثاني : للأستاذ سلامة أحمد سلامة فقد اتخذ عنوانه من رسالتين وصلتا إليه، اعتبرهما كاشفتين عن عقليتين مختلفتين ، عقلية تقدمية مستنيرة ، وأخرى متخلفة جامدة ظلامية.

أما الرسالة الأولى: فهي للدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة والتي ذكر فيها صاحبها من خبرته الشخصية أنه تعرض لموقف اهتزت معه عقيدته في المسيحية ، وذلك عندما ذكر أحد المحاضرين بالجامعة الأمريكية وهو طالب بها ، أن روح الإيثار ـ يعني حب الناس جميعًا ـ يعتبر مكونًا أساسيًّا في الطبيعة الإنسانية ، وأن هذا الشعور يمكن أن يغنينا عن الدين . ثم يشير الدكتور عبد المسيح أن ابنته قد تعرضت هي الأخرى لمثل هذا الموقف عندما زلزل كيانها الإيماني أستاذ كان يهاجم الدين المسيحي والإنجيل إلى درجة التشكيك في الوجود التاريخي أو الحقيقي لشخصية السيد المسيح عليه السلام . ثم يختم كلامه بهذه العبارات : «إن المرء يزداد رسوخًا كلما تعرض لموجات الفكر التي تدور من حوله ... قد نشفق على الشجرة الصغيرة ونحن ننقلها من المشتل لتواجه حرارة الشمس حينًا ، وبرودة الجو أحيانًا إلا أنه بدون هذه لن يصلب لها عود ، ولن تتأصل لها جذور فلنفتح لها الأبواب

والنوافذ فتتفتح العيون على ما يقوله الآخرون وكيف يفكرون ، كفانا من أسلوب التلقين ، ومحاصرة الفكر والحجر على الباحثين . لنشجع التعرف على الرأي والرأي الآخر بلا خوف ولا فزع ، فصاحب العقيدة السليمة والفكر الصحيح سيزداد رسوخًا» .

هذه هي رسالة القس باختصار لا يخل بشيء مما جاء فيها . أما الرسالة الثانية التي تسلمها الكاتب الصحفي من أحد قرائه ، والذي وصفه بالجهل والظلامية ، فقد طالب صاحبها بوضع مثل هذه الكتب في متناول الباحثين المؤهلين فقط ، وليس للطلاب الذين لا تتوفر لديهم المعلومات الكافية عن الدين ، وهذا مطلب معقول وإن بدا أنه مقيد للحرية الفكرية . وبغض النظر عما قد يكون ورد في رسالة الأخير من ألفاظ غير لائقة ، والتي احتفظ الكاتب بمعرفتها لنفسه ، فإنه كان ينبغي على الكاتب أن يكون أوسع صدرًا في قبول الرأي الآخر حتى يضرب بالمثال ما يدعو إليه بالمقال .

وعلى أي حال فإننا نراه من الإجحاف العلمي وعدم الإنصاف في المقارنة أن يضع الكاتب رسالتين (انتقاهما) بلا شك ليدلل من خلالهما على جهل وتسرع وظلامية المسلمين ، أو هكذا يمكن للقارئ أن يفهم ، وسرعة تشككهم وخوفهم من المواجهة ، وذلك في شخص كاتبها المسلم أيًا كانت تبريرات فإن اعتبار الانتصار للدين يجب أن يعلو على الانتصار للكرامة الشخصية.

أما الرسالة الأولى والتي أفسح لها الكاتب ثلثي عموده تقريبا فإنها تصور كاتبها بصورة البطل القوي وتصور معتقداته بأنها هي الأقوى والأثبت .

وإذا كنا لا نختلف مع القس الدكتور عبد المسيح في أن الإنسان الصحيح لا يخاف من فتح النوافذ والتعرض للتيار فإننا نقول أيضا أن الحرية الفكرية لا تعني أن لا تكون لنا معالم ننتهي إليها ، وأسوار تحمينا وتقينا فيما نعتقده . صحيح أن الشتلة الصغيرة تقلع ثم تغرس في موضعها التي تنمو فيه وتثمر ، وهي في أثناء رحلتها تتعرض لتأثير العوامل الطبيعية عليها، ولكننا أيضا لا ينبغي أن نهمل في رعاية الشتلة في موطنها الأول المؤقت ، أو في موطنها الثاني الأكثر دعومة ، إن الرعاية مطلوبة في كلتا الحالتين، لأن الشتلة الضعيفة سوف تذروها الرياح أو تحرقها الشمس أو يخطفها الطير.

وهنا أجد من المفيد أن أنقل بعض ما أورده الكاتب الصحفي الأستاذ صلاح منتصر في مقاله الرابع حول الموضوع نفسه وهو في الدفاع عن رأيه (١٧ يونيو

١٩٩٨م) وذلك بعد أن عرضت وناقشت أهم ما ورد بمقالاته السابقة .

أشار الكاتب إلى ما حدث للاعب الكرة المصري عندما داعب أحد أصدقائه الألمان فحياه على الطريقة النازية ، فقبض عليه لأن هذا النوع من التحية ممنوع قانونًا في ألمانيا. هذا بالرغم من مرور أكثر من ٤٠ سنة على نهاية الحرب وموت هتلر ، فإن أحدًا لا يستطيع مناقشة موضوع النازية ، ولا يجرؤ أستاذ في مدرسة أو جامعة ألمانية أن يطلب إلى تلاميذه قراءة كتاب «كفاحي» الذي كتبه هتلر ، ... .. ولو فعل أي أستاذ ذلك لقدم فورًا إلى المحاكمة دون أن يجرؤ قلم واحد على الدفاع عنه ، وإعلان أن هذه حرية بحث يريد بها تعليم الطلبة ممارسة الحوار والتفكير العلمي .. وعندما تجرأ مفكر كبير في حجم جارودي أن يناقش الأسطورة اليهودية حول عدد اليهود الذين عذبهم هتلر ، فإن فرنسا - دولة المدرس الذي اختار كتاب رودينسون (محمد) لتدريسه في الجامعة الأمريكية - تناست كل صفات الحرية والتنوير والريادة الفكرية التي تقال عنها وقدمت جارودي إلى المحاكمة دون أن يقال - داخل فرنسا - أن الذي تفعله فرنسا يمثل قمة النفاق السياسي وخنق حرية التفكير . وفي الهند حيث هناك قداسة خاصة للبقرة ، لا يجرؤ أي مدرس أو أستاذ أجنبي تدريس كتاب يمس هذه القداسة بحجة زيادة تقوى الهنود وتقديسهم للأبقار .. ولو فعل ذلك لقتلوه ، رغم أن الهند وصلت ، بدليل التقدم النووي الذي حققته ، إلى درجة علمية تفرض احترامها .. ولكن هذا شيء واحترام ما تحيطه الشعوب بالقداسة شيء آخر ..وبالنسبة للمجتمع المصري ، وهذا أمر يجب أن يعرفه أي أستاذ أو مدرس أجنبي يدرس العلم ، أو أي كاتب فإن طبيعة هذا المجتمع احترام عقيدته التي هي في الوقت نفسه تحترم عقائد الآخرين الدينية . هذه قضية يجب أن تكون واضحة ولا علاقة لها بالبحث العلمي الذي سينهار إذا لم يتم حتما تدريس كتاب يهين الإسلام ورسوله . ونحن لسنا ضد حرية الرأي والبحث العلمي وتعليم الشباب حرية التفكير . فليس مثل الإسلام دينًا يدعو إلى العلم ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (فهل يتحقق ذلك بغير البحث والعلم) . وقال الحق أيضا ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (فهل هناك أوضح من ذلك) ولكن علينا أن نحسن اختيار ما نقرره لشبابنا . إن مكتباتنا عامرة بآلاف الكتب وهناك مئات القضايا التي تستحق المناقشة ومن غير المعقول أن يضيق ببعضنا البحث فلا يجد سوى كتاب واحد يسب الإسلام ، ويرهن على تدريسه مستقبل العلم في مصر !!».

ونعود مرة أخرى إلى الكاتب سلامة أحمد سلامة فقد نشر رسالة أخرى في عموده «من قريب» بالأهرام (١٣/٦/ ١٩٩٨ ص ١٠) . وصلت إليه من الدكتورة عزة عزت بكلية آداب المنيا ، اعتبرت فيها هذا الكتاب وكتاب سلمان رشدي ***آيات شيطانية*** وغيرهما حلقات في سلسلة الإساءة إلى الإسلام . وترى الكاتبة أن منع أو مقاطعة مثل هذه الكتب أو مجرد شجبها والتنديد بها ليس هو الحل ،وتقول :«إن صورة العرب في الغرب سيئة ومشوهة جدًّا»وأنها قد ألفت كتابًا في هذا الموضوع . وترى أنه ينبغي علينا أن نرد وننقد بطريقة عقلية وبأسلوب علمي ، وليس بالعواطف التي سرعان ما تنتهي إلى لا شيء ، لذلك فهي تطالب بإنشاء هيئة إسلامية عليا للتصدي لمثل هذه الأعمال التي تسئ إلى الإسلام ، فالأجهزة الصهيونية لم تترك شاردة ولا واردة لم ترد عليها أو تروج لها بحسب المصلحة ، وهي تتهم كل من يحاول الخروج على مقرراتها بمعاداة السامية ، وقد صوب الأستاذ سلامة أحمد سلامة رأي صاحبة الرسالة ، وعلق عليها بقوله : «هذا بالضبط ما ينبغي أن ندعو إليه ونربي أجيالنا الصاعدة من طلبة الجامعة عليه ، ولو أدركنا حجم ما ينشر عن العرب والمسلمين ليس فقط في صورة كتب وأفكار ومحاضرات ، بل قبل ذلك وبعده في صورة أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية رصد منها الباحث الأمريكي البروفيسور جاك شاهين أكثر من ٩٠٠ برنامج وفيلم تليفزيوني في أمريكا وحدها ، لعرفنا أن أساليب المنع والشجب والتنديد لن تجدي شيئًا ؛ وما دمنا لا نتقن لغة الغرب في الصراع الحضاري .. فسوف نظل على ما نحن عليه من تخلف وتعصب وجهل».

ونحن نتفق مع صاحبة الرسالة ومع تعليق الكاتب الصحفي عليها ، وقد طالبنا منذ أكثر من عام بإنشاء مثل هذه الهيئة أو المجمع الإسلامي الشامل ،وذلك لأن عرض الإسلام الصحيح والرد على مفتريات خصومه كما ينبغي يتعدى طاقات الأفراد بل وطاقة دولة واحدة ، و يتطلب جهود وإمكانات دول العالم العربي والإسلامي كله ، ويحتاج كذلك إلى ميزانية ضخمة ، وهذا المشروع الهائل إذا تم ينبغي أن تستخدم فيه جميع الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة .

وإنه لمن الواجب حقًّا أن نهيئ بيئة علمية صالحة لنمو قيادات فكرية واعية ، قادرة على الاستيعاب وعلى الإقناع بالحجج العقلية ، لا بمجرد الاحتجاج والصياح والجلبة، وإذا ما توفرت لدينا هذه القيادات الفكرية الواعية فإن خصومنا سوف يفكرون مرات قبل أن يكتبوا مرة واحدة .

وفي ندوة عقدت بالمجلس الأعلى للثقافة فاجأ محمود أمين العالم الحاضرين بقوله بصوت عال : «إنها فضيحة ثقافية ، أكررها هنا من فوق منبر المجلس الأعلى للثقافة ، إنها فضيحة ثقافية أن يمنع كتاب أيًّا كان هذا الكتاب من التداول ، كيف يخرج كتاب من المكتبة بحجة ما ، وأين كرامة البحث والمنهج العلمي ؟ ثم أين الحرية الفكرية ؟ ثم أين قيمة العلم الذي يحث عليها الدين نفسه ودون التصريح باسم الكاتب وبعنوان الكتاب فهم الجالسون على المنصة أن المتحدث يعني مكسيم رودينسون وكتابه «محمد» .

هذا هو كلام المفكر المصري التحرري ، إنه يجعل من الفضيحة أن يعترض معترض على كتاب يهاجم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويهاجم الإسلام ، وليس فيه من آثار المنهج العلمي أي أثر، بل إنه اعتمد على الشتائم والسباب والتهم وتمزيق التاريخ وتشويه الحقائق وطمس معالم القيم ، لم يقل هذا المفكر المصري التحرري كلمة واحدة في إدانة هذا الكتاب ،وكأن الإسلام لا يعنيه ، وكأن حرية البحث العلمي عنده فوق الحقيقة وفوق المساءلة . إنني لا أعرف ، على حد علمي ، للأستاذ محمود أمين العالم موقفًا أنصف فيه الإسلام أو دافع فيه عن المسلمين الذين ينتمي إليهم، وكنا نود أن تقل حدته وتتزن نبرته ويكون موضوعيًّا في إبداء رأيه . إننا لا نحجر على أصحاب الآراء ، ولا على أصحاب الاتجاهات أن يقولوا ما يعانون وأن يعلقوا بما يشاءون ، ولكننا فقط نطلب منهم أن يعطوا للآخر ما يعطونه لأنفسهم ، وألا يصفوا بالجمود كل من يخالفهم في الرأي أو المعتقد ، إن هذا منهج غير علمي بالمرة ولكنهم للأسف يلبسون مثل هذه المزاعم والأكاذيب ثوب العلم ويضعون فوق رءوسها طيلسانات العلم وحرية البحث العلمي ، وما هي إلا تعصبات ضد ما لا يعتقدونه .

إن الأستاذ محمود أمين العالم الذي استنكر على العلماء ردودهم على رودينسون ومدرس كتابه ، لم يكتب شيئًا ولم تصدر عنه أي عبارة في استنكار التهجم المنافي للعلمي ، والتبجح المناهض للمنهج العلمي على هداة البشرية ، وعلى القيم التي جاءوا بها من عند الله ، لإسعاد عباده في الدنيا والآخرة ؛ بل إنه اكتفى فقط بالدفاع عن المخطئ ، واعتبر الهجوم على أفكاره هجومًا على المنهج العلمي ، وعلى العقل ، ما كان أولى أن يقول المعترض أن كتاب رودينسون ليس فيه منهج ولا يقره العقل ، وأن مؤلفه يعتمد على الشتائم المقذعة كما يعتمد على المصادر الثانوية في كتابه .

وقد علق الدكتور مصطفى عبد الغني في مقاله الذي أشار فيه إلى ندوة المجلس الأعلى للثقافة على كلام المعترضين على الأستاذ الفرنسي الذي قرر وضع كتاب رودينسون ضمن قائمة الكتب التي كلف الطلبة بقراءتها قراءة نقدية (الأهرام ٢٢ يونيو ١٩٩٨م ص ١٨).

ثم أعقب ذلك بقول الأستاذ محمود أمين العالم : «إن عدم استعانتنا بالكتب الأجنبية أيًا كان محتواها إنما يجعلنا نتضاءل في عملنا ، ونتحول إلى النقل لا العقل ، والاقتصار على المكتبة العربية فقط يحول بيننا وبين توسيع المدارك ، وتعميق الأفهام» ويذكر نفس المتحدث أنه قرأ منذ فترة مبكرة أعمال ماسينيون ، وأنه قارعه الحجة بالحجة ، ومن ثم فهو يرى أن هذا هو ما ينبغي أن يكون في التعامل مع مثل هذه الكتب .

بالطبع لم تكن الساحة خالية من المعارضين للكتاب ولتدريسه هو بالذات لشباب مسلم في سن العشرين ، حيث يخبرنا كاتب المقال أن الدكتورة يمنى الخولي ـ أستاذة الفلسفة ـ صرخت أثناء الندوة ، هكذا اختار الكاتب أن يعبر قائلة : «كلنا متطرفون» الكتاب سيئ وعباراته سيئة ، ونستطيع أن نحذف اسم رسولنا الكريم محمد لنضع مكانه في هذا الكتاب اسم أي نجم معاصر كيلا ندرك تغييرًا ملموسًا في الفكرة التي أراد توصيلها رودينسون بخبث شديد ، ثم إن الكتاب خطير خاصة حين يتعلق الأمر بشباب عمره عشرون عامًا» .

بعد أن عرض الدكتور مصطفى عبد الغني كلام محمود أمين العالم ، الذي استنكر فيه بشدة موقف المعارضين من الكتاب ، ومدرسه دييبيه مونسيبو الفرنسي وكلام الدكتورة يمنى الخولي في تأكيد ما سبق أن قاله العلماء في شجب هذا الكتاب .

يقول : « ... إنني واع أشد ما يكون الوعي إلى هذه العنصرية الغربية التي يعاملنا بها الغرب ، ويستخدم - في أولياتها - النظر إلى ديننا وعقيدتنا ، والتعامل مع رسولنا الكريم الذي سمي أحيانا «مهمه» وأحيانا أخرى«محمد» للتقليل من شأننا .

أضف إلى هذا أنني مدرك تمام الإدراك أن العقيدة (في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، كمثال) تستخدم الدين أحيانًا للتعبير عن هذه العنصرية البشعة التي يشارك الغرب كله في صنعها وممارساتها ضدنا ، ولعل المثال الذي يرد إلى ذهني الآن قصة هذه الطالبة المصرية التي قامت هذه الجامعة بفصلها لأنها ارتدت الحجاب ، داخل الجامعة ،

ومارست العقيدة ممثلة في الصلاة مع زميلاتها ، مما نجم عنه قضية قامت الطالبة برفعها أمام القضاء المصري منذ سنوات ، وما زالت تنتظر حكم القضاء .

ربما كان هذا الوصف البسيط لشخصي الضعيف عاصمًا لي لاتقاء أي اتهام بالانحياز أو الشوفونية» .

إن دعاة الحرية الفكرية يرغموننا باسم العقل أن نشم الهواء دخنًا ، وأن نشرب الماء آسنًا رنقًا ، وأن نتناول الأطعمة الفجة والعفنة دون اعتراض أو امتعاض ، وأن نقبل أن تغسل أمخاخ أبنائنا وبناتنا ، ويهان دينهم ودينا ، وأن نسكت لأن الحرية الفكرية والمنهج العلمي يلزمنا نحن فقط بالسكوت ، وكأن هذا شيء مصمم لنا بخاصة من دون العالمين ، إذا اعترضنا قوطعنا ، وإذا سكتنا وصفنا بالجهل وبالتأخر والتخلف ، وأما غيرنا فمن حقهم أن ينفخوا في الأبواق ويطيروا إلى السبع الطباق .

والعجيب أن أمثال رودينسون يجدون من بيننا من يروج لأفكارهم ، حتى وإن كانت ضد معتقداتنا وقيمنا وللأسف فإنهم إذ يروجون لمثل هذه الأفكار إنما يعرضونها وكأنها مسلمات وحقائق علمية دامغة ، وما ذلك إلا لأنها مستوردة وكأن الغرب لأنه متقدم من حقه أن تكون آراؤه وأحكامه كلها صائبة ، ولذلك فإنهم لا يفندونها ولا يردون عليها ، بل نراهم يتجاهلون قول أهل الحق فيها .

ونعرض هنا لما جاء في ندوة الأهرام في عدد الجمعة ٧/٣/ ١٩٩٨ ، تحت عنوان «هل نملك تذكرة الدخول للقرن ٢١ ؟» وقد تناولت هذه الندوة عدة نقاط يهمنا منها ما جاء بخصوص حرية التدريس للطلاب في ضوء ما أثير من نقاش حول كتاب مكسيم رودينسون. في البداية أشار الدكتور برهام عطا الله ـ الأستاذ بكلية حقوق الإسكندرية ـ إلى كتاب «محمد» لرودينسون ثم قال :«إن المجتمع يربط بين العلوم الطبيعية الدقيقة والعلوم الثانية الاجتماعية أو القاعدية وأنا أريد أن أوجه النظر إلى أننا نريد أن نخلق مجتمعًا علميًّا ، وقد استخدم الدكتور زويل كلمة «حرية» ، وأنا أستخدم مثلها «التسامح» ؛ لأن المهم جدًّا في نشاط العلوم الاجتماعية أن يكون هناك تسامح وحرية، وألا يكون هناك أي نوع من الزجر أو التعسف ، أو حتى محاولة الرفض الجزافي لأي عمل فكري . وبالمناسبة أنا كنت منذ شهر في سفر وعندما رجعت وجدت ابنتي تقول أن هناك كتابًا خرب الدنيا في الجامعة الأمريكية ، والسيد الوزير مفيد شهاب منع الكتاب لمجرد أن أحد الصحفيين الكبار قال أن فيه بعض

الكلمات غير المناسبة عن الدين الذي نؤمن به ونحبه ، فقلت لها يا ابنتي أنا أعرف هذا المؤلف وحضرنا معه ومعالي الدكتور مفيد حضر معنا بعض محاضراته في الستينيات ، وأنا أريد أن أربط بين التسامح وبين الحرية الفكرية وبين التقدم عموما والقاعدة العلمية» .

هذا الكلام ينطوي على بعض المغالطات أما عن قول الدكتور عطا الله بأنه لا بد من توفر عاملي الحرية والتسامح في نشاط العلوم الاجتماعية «فإن حرية البحث شيء لا ننكره ولا نرفضه ، ولكننا ننكر ونرفض أن تؤخذ اجتهادات العلماء وما توصلوا إليه ، مما قد يكون خطأ ، ونقدمه على أنه حقائق يجب الأخذ بها ، أو أن نروج لهذه الاجتهادات لخدمة أغراض معينة قد لا تكون ظاهرة ، ولكنها أبعد ما تكون عن العلم والبحث العلمي ، إن البحث العلمي ينبغي أن يكون لصالح الإنسان من الناحيتين: الروحية والمادية ،وليس لمجرد التقدم المادي وحده أو إثبات التفوق والغلبة على الآخرين .

أما عن التسامح فإننا ينبغي أن نفرق بين التسامح والتساهل ، فالتسامح مطلب ديني وإنساني معًا ، وشيء لا غنى عنه لحياة الإنسان المدنية ولمؤسساته الاجتماعية بشكل عام ، ولكن أن نتساهل في القيم الراسخة للمجتمع ونسلمها لأهل الأهواء والأغراض ، فإن هذا ينبغي أن يكون أمرًا مرفوضًا ومردودًا ، كما أننا لا يمكن أن نعد الهجوم على الرسول صلى الله عليه وسلم بحثًا علميًّا ، ونعتبر في نفس الوقت ، الدفاع عنه وصد عادية المغرضين تعصبًا وتحجرًا ومصادرة على الحريات . لا شك أن علم الاجتماع المعاصر برغم اعتماده على أصول علمانية مادية بحتة غالبًا ، قد أمدنا بمادة علمية صالحة تفيد في إبراز التاريخ الديني والسيرة الخلقية للمجتمعات ، وللبيئة الاجتماعية للإنسان ، أما أن يستغل علم الاجتماع لتثبيت آراء أو نظريات باطلة فهذا مرفوض بالكلية .

إن الظواهر الاجتماعية التي يتابعها ويرصدها علم الاجتماع ليست لها في كل الأحوال قيمة الحقائق المطلقة ، ولا ينبغي أن تؤخذ مأخذ التسليم دون تفنيد ، ولست أدري ماذا يريد الدكتور برهام بقوله : أنه يعرف رودينسون ، هل يعني أن مجرد معرفته وحضوره بعض المحاضرات للكاتب تعفيه من المسئولية الخلقية والعلمية تجاه سب الرسول صلى الله عليه وسلم والعدوان على الإسلام بهذه الطريقة الفجة ؟ وتجعله فوق النقد والمساءلة .

إن رودينسون خصم عنيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متخصص في مهاجمة الإسلام مثل معظم المستشرقين ، وإن ادعى أنه يناصر القضية الفلسطينية ، وما هي يا ترى العلاقة بين الهجوم على الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام ومناصرة القضية الفلسطينية !!

وقبل أن نمضي في عرض ما جاء في هذه الندوة بخصوص الكتاب موضوع المناقشة ينبغي أن نعلق أيضا على كلام الدكتور برهام عطا الله في هذا الصدد ، يقول الدكتور «إننا نريد أن نخلق مجتمعًا علميًّا لأن المهم حدًّا في نشاط العلوم الاجتماعية أن يكون هناك تسامح وحرية وألا يكون هناك أي نوع من الزجر أو التعسف ، أو حتى محاولة الرفض الجزافي لأي عمل فكري ، أنا أعرف هذا المؤلف وحضرنا معه ومعالي الدكتور مفيد ... بعض محاضراته في الستينيات» وإلى جانب ذلك يطالب نفس الأستاذ بالربط بين الحرية الفكرية وبين التقدم بصفة عامة والقاعدة العلمية بصفة خاصة .

إن خلق المجتمع العلمي الذي ينادي به المتحدث لا ينكره الإسلام ، بل إن الإسلام كان أول دين يؤسس مثل هذا المجتمع ، ويرسي قواعده على القراءة والتعلم اللذان هما أساس العلم والحضارة ، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ والقرآن الكريم كتاب علم أُمِرَ المسلمون بحفظه وتدبره وبتطبيق ما جاء فيه ، ومن أول وأهم ما جاء فيه الحض على طلب العلم وتعليمه ، وعلى البحث والنظر والتأمل والتفكر والتدبر والإفادة من تجارب الآخرين .

إنه بفضل الإسلام قد تحولت المدينة ومكة إلى دار علم ، وكان العلم ينتشر بانتشار القرآن في كل مكان من ممالك الدنيا ، لقد حارب الإسلام الخرافة والجهل والتقليد الأعمى ، وطالب بالحجة والبرهان والدليل لإزالة الشك والغموض ، والوصول إلى الحقائق الثابتة واليقين الجازم عن طريق العلم الصحيح والمجتمع العلمي الذي أسسه الإسلام ، وجعل أهل الحل والعقد فيه هم العلماء ، قام على الدين وعلى الاتصال برب العالمين خالق الإنسان وواهب العقل والفكر ، ومفجر الطاقات العقلية والفكرية، وخالق المادة التي يعمل فيها العقل ويتصرف بمقتضاها ، ومبدع القوانين الطبيعية ، ومنزل القواعد العقائدية والمبادئ الخلقية والشرعية التي تحكم الحياة والفكر ، وتضبط سير العقل ، وترسم سلوك البحث والنظر ، وإذا فليس معنى أن نخلق مجتمعًا علميًّا أن نكون لا دينيين ، لأن اللادينية ، أو الاستخفاف بالدين هما من أخطر المخاطر التي تتحدى الإنسان في قيمه العلمية والدينية ، بل وفي إنسانيته على العموم ، إن الضوابط

والقيم التي وضعها الله تعالى وأكدتها سنن الأنبياء ، والتي يعدها البعض قيودا أو معوقات إنما هي لمصلحة الإنسان الذي لا يمكن له أن يستقل بحياته وحاجاته عن الله ، خالقه وخالق الكون كله ، إن العقل والوحي كلاهما من الله تعالى ، والعقل حامل الوحي ، والوحي حاميه وراعيه .

بعد أن عرضنا رأينا فيما قاله الدكتور برهام نعود الآن إلى موضوع الندوة .

رد الدكتور أحمد زويل على كلام الدكتور برهام قائلا : «أنا عايز أعلق على هذه النقطة في صراحة ، يا دكتور فإنه حتى في أمريكا العلماء لهم حدود ، يعني أنا لا أستطيع غدًا في جامعة كلتاك أن أقول إن الحكومة الأمريكية يجب ألا تضرب العراق مثلاً ... أنا أستطيع أن أقول هذا كشخص ، وأستطيع أن أقول ذلك كأحمد زويل ، ولكن كعالم من جامعة كلتاك لا يمكن أن أقول ذلك وفقًا لقواعد الجامعة . لهذا فإن ما تريد أن تقوله أنا أوافقك عليه ، وهو أن يكون عالم الفكر حرًّا وواضحًا ، ولكن لا تكون هناك لخبطة تخلط العلم بالمجتمع بالدولة بالحكومة» . معنى ذلك أن العلم والبحث الحر لا ينبغي أن يتجاوز نظام الدولة والقيم التي ارتضاها المجتمع وقرر أنها من محمياته . ومن المهم أن ننقل هنا رد الدكتور الوزير العلامة مفيد شهاب ، صاحب قرار سحب كتاب رودينسون من الجامعة الأمريكية على كلام الدكتور برهام ، وعلى كل المعارضين لهذا القرار الشجاع بحجة الدفاع عن حرية الفكر . يقول الدكتور مفيد شهاب «أما بالنسبة لقضية حرية البحث العلمي التي أشار إليها الدكتور برهام عطا الله ، سواء في العلوم الاجتماعية ، أو العلوم الطبيعية ، أو غيرها فقد أغناني الأخ الدكتور أحمد زويل وهو يعيش في مجتمع متحرر جدًّا وديمقراطي جدًّا ، عندما رد على بعض أبعادها ... وأضيف إلى هذا :

أولا : أن من يقول بالحق لا بد أن يقول بالواجب...ومن يقول بحرية الفرد فعليه أن يقول بحق المجتمع.

ثانيا : وأنا أتحدث كأستاذ قانون فإن هناك مجموعة آداب وقيم في كل مجتمع تشكل النظام العام الخاص به ، وما قد يكون عيبًا في مجتمع لا يكون كذلك في مجتمع آخر ، وعندنا في مصر .. لا يسمح النظام العام بأن تكون المعتقدات الدينية الراسخة محل استهزاء ونقد وتجريح. نعم أنا مع حرية البحث العلمي وأول من يؤيده في العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية ، ولكن دون أن تصل إلى الإخلال بالنظام العام والآداب

الخاصة بكل مجتمع وبمعتقداته، وهذه قاعدة في القانون .. ولهذا أوقفنا تدريس الكتاب الذي أشار إليه الدكتور برهام، في الجامعة الأمريكية .. وهو كتاب «محمد» تأليف مكسيم رودينسون .. فالكاتب يقول إن القرآن الكريم ليس من وحي الله سبحانه .. ولكن كتبه واحد كان يجيد الشعر ، ولولا أنه مكتوب على شكل شعر من النبي صلى الله عليه وسلم ما استمر القرآن (!!) فهذه مسألة داخلة في صميم العقيدة.

وقال أيضًا : إن الرسول في سلوكياته تزوج السيدة خديجة لأنها كانت غنية ، وهو كان يريد أن يرتفع إلى مستواها ، ولما تزوجها وجدها سيدة كبيرة في السن لم تشبع شهوته الجنسية - وأنا آسف أني أكرر هذا الكلام ، ولكن لا بد أن يعرف الناس ما دمنا نتحدث عن الحرية - وهذا مرفوض .. وأنا أسفت للمؤلف، فإنني كنت في باريس واستمعت إليه وكان وقتها يساند القضية الفلسطينية وكان ماركسيًّا، ولكن كونه يدافع عن القضية الفلسطينية ليس معناه أن كل ما يكتبه أقبله ،وإنما لا بد أن أرى مضمونه. وعندما تحققت من أن ما ذكره الأستاذ صلاح منتصر - الذي أثار هذا في عموده - صحيح مائة في المائة أصدرت قراري بوقف تدريس الكتاب في الجامعة. يا دكتور برهام .. إنه في باريس التي هي أكثر منا حرية قدموا جارودي للمحاكمة ، وأدين لماذا ؟ لأنه انتقد بعض ما قيل من أفكار عن النازية ، وأنهم بالغوا في الأرقام ، وأن هذا العدد غير صحيح، مجرد أن كتب جارودي هذه الأفكار ، اعتبروا أن فيها إخلالاً بالنظام العام الفرنسي وبالقانون الفرنسي ، الذي يقول أن هذه مسلمات لا يمكن الطعن فيها، ومنها أن تقول أن اليهود لم يعذبوا .. أي أنه بمجرد أن تنتقد وتقول أن اليهود لم يعذبوا وتكتب ضد هذا تحاكم وتدان !.

إن هذا الكتاب يتعارض مع حرية البحث العلمي وإذا جاء أي كتاب بما يخالف رواسخ المعتقدات الدينية فسوف أوقفه .. فالرقابة في الجامعة لاحقة على ما هو مخالف لمعتقدات المجتمع، ولكن لا يمكن في البداية أن أقول لكل أستاذ هات كتبك لكي أراجعها ، لأن هذا ضد حرية البحث العلمي .. إنما وبعد صدور الكتاب نقرؤه ونفحصه ، هل هو مناسب للتدريس أم لا ؟ فإذا كنت تريد أن تكتب فأهلاً وسهلاً ولكن لا تخل بقيم المجتمع .. هذا ما حدث وأرجو يا دكتور أن تبلغه لابنتك.!.

نقلنا كلام الدكتور مفيد شهاب كاملا لأهميته في توضيح موقفه من هذا الكتاب، وإصدار قرار بمنع تدريسه في الجامعة ، والدكتور مفيد شهاب من جهابذة العلم والسياسة في مصر ، وهو رجل معروف بأصالته وعمق انتمائه لهذا الوطن وأن غيرته

على الإسلام محل شهادة وتقدير ، وقد أصاب في وقف هذا الكتاب فور معرفته به وذلك لتهجمه على الإسلام وعلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفوق ذلك وقبل كل شيء لقلة حدواه العلمية ، وضعف مصادره ، واهتزاز معايير مؤلفه بل لعنصريته وتعسفه ضد نبي الإسلام والحضارة الإسلامية بشكل عام .

وفي أخبار الأدب (عدد ٤ من ربيع الأول ١٤١٩هـ - ٢٨ من يونيو ١٩٩٨ م. ص ٢٦) نشر عبد الحميد صالح حمدان مقالاً حول رودينسون وكتابه قدم له بنبذة مختصرة في تاريخ الاستشراق والنزعة التعصبية التي كانت تحكمه منذ بداية تكوينه ، ثم قال : «وقد أردت بهذه المقدمة أن أبين أن ما جاء في كتاب «محمد» (صلى الله عليه وسلم) لمكسيم رودينسون ما هو إلا قطرة في المحيط الإستشراقي ! فهذا المهاجر اليهودي الروسي : بدأ اهتمامه بالعالم العربي والإسلامي منذ صغره ، وتحديدًا في الثلاثينيات من هذا القرن». وأشار الكاتب إلى اهتمام رودينسون بالتاريخ الإسلامي والعربي ، وذكر أنه تتلمذ على يد المستشرق الفرنسي جودفروادي موبين (١٩٥٧) الذي كتب السيرة النبوية بموضوعية وامتياز ، وهو أستاذ الدكتور زكي مبارك وبعد أن ذكر الكاتب معالم حياة رودينسون يقول تحت عنوان طبيعة التكوين : «ورودينسون في الواقع شخصية غريبة الأطوار من تلك الشخصيات التي لا تهدأ ولا تستقر على حال . فهو بطبيعة تكوينه وتفكيره يغالي في (تأثير) الأيدلوجيات ويطبقها على كل دراساته وأبحاثه . وهو كما يقول قد انبهر بالإسماعيلية كنموذج للأممية الحديثة، وتأثر - بشكل كبير - بالبيئة الفرنسية التي نشأ فيها ، وبما حدث في أوروبا من تحول الكنيسة الكاثوليكية عن موقفها الخاص بتحريم تناول المقدسات . وكان أمله أن يحدث الأمر نفسه في العالم الإسلامي! وقد شرح رودينسون وجهة نظره هذه في مؤلفاته ، بل وألقى محاضرة في القاهرة حول الماركسية وتاريخ الإسلام ، صاغ فيها لأول مرة مفهوم المسلم الاجتماعي و«العلمنة في الإسلام» ، فهو أول من رأى أن هذه العلمنة قد ظهرت في العالم الإسلامي بفضل الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي عرف كيف يجند الناس من أجل توحيد الأمة العربية وإنشاء نظام اجتماعي مثالي يتجنب مزالق الاشتراكية والشيوعية.

وهو يرى أن الدين الإسلامي في وعي المسلمين لا يمكن أن يقتصر على ذكر الجنة والنار، بل الأهم هو التعبئة حول عظمة أمة الإسلام ، ونظام الإسلام الاجتماعي. وقد لفت هذا التطور نظره، كما لفت نظره كذلك خوف الغربيين من الكلام عن الإسلام

الذي يبدو لهم كعالم مجهول ومعقد رغم آثاره الهامة (المهمة) على العلم وعلى الشعوب». وبعد أن أشار عبد الحميد صالح إلى مؤلفات رودينسون وكلها حول الإسلام والعرب قال تحت عنوان مواضع الخلل : «ولا شك أن هذه المؤلفات تعكس اتجاهات رودينسون في البحث والنقد والتأويل، وهي اتجاهات تقبل بالمقدمات المنطقية وتتعامل مع الأيدلوجيات المشحونة بالقلق والتوتر ، والمغرقة في الإيهام والمثالية». ويحدد عبد الحميد صالح حمدان موقفه كمسلم من مثل هذا الكتاب فيقول : «ولكن هذا ليس سببا وجيها يدعونا إلى مقاطعته ، أو منع تداول كتبه المنشورة والمتداولة على نطاق واسع في أنحاء العالم ، بل العكس صحيح، فقد قرأنا في شبابنا هذه الكتابات، فزادتنا إيمانا على إيمان، وأتاحت لنا أن نضع أيدينا على مواضع الخلل في التفكير ، وعلى حالات سوء الفهم والتأويلات الخاطئة المقصودة وغير المقصودة . وخلق ذلك لدينا حاسة النقد الموضوعي ، وحررنا من الوساطة الفكرية وقربنا من طرق التفكير التجديدية دون تفريط في أي من معتقداتنا الراسخة أو زحزحتها قيد أنامل (أنملة)». هذه هي وجهة نظر عبد الحميد صالح حمدان في رودينسون وكتابه ، أثبتناها لأن فيها نقاطا تفيد الباحثين في أدب الرد والمعارضة في المسائل الدينية وبخاصة ما هو إسلامي منها . ولكنني أود أن أعلق على عبارة الكاتب «فهو أول من رأى أن هذه العلمنة قد ظهرت في العالم الإسلامي بفضل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم» إذ أن رودينسون يحاول هنا أن يحشر العلمنة أو العلمانية في الإسلام بمفهومها الغربي الإلحادي . صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من بنى أمة وحضارة على قواعد علمية راسخة ، وعلى قيم دينية وإنسانية ثابتة تجمع بين الوحي والعقل والضمير . أما العلمانية بمفهومها الغربي الذي يسلم للعلم كل شيء ولا يترك للدين إلا زوايا ضيقة في حياة الناس ، فإن هذا شيء يرفضه الإسلام . إن رودينسون قد ربط بين العلمنة وبين عمل الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، لأنه يعتبر الإسلام فرقة، وفرقة خارجة ومنبوذة ، وأنه يربط بين الإسلام والوثنية العربية التي جاء الإسلام في حقيقة الأمر لإزالتها وللإطاحة بنفوذ أهلها إلى الأبد . إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن قائدًا سياسيًّا محاصرًا ببيئته وزمنه ، ولكنه كان رسولاً ، ورجل دولة ودين أرسى قواعد دولته العظمى على أساس الوحي ، والعقل ، والحس ، والضمير .

وفي هذه القرينة كتب عصام زكريا مقالا بعنوان خلط آيات القرآن والإنجيل (روز اليوسف ٦/٢٢/ ١٩٩٨ عدد ٣٩٥٤) ، قال فيه بعد العرض والتفنيد الجيدين لهذه

السور المزعومة ، أن الكاتب سواء كان فردًا أو مجموعة ربما يكون فعل ذلك بدافع شخصي ، ولكننا نرى أنه لو صح القول بالدافع الشخصي لهان الخطب ، لكن المتتبع لشبكة المعلومات وللإصدارات التي تنشر حول الإسلام لا يسعه إلا أن يجزم بوجود اتجاه عام يحرك بواسطة جماعات ومؤسسات عالمية تدبر بمكر وتمول بسخاء الحملات المسعورة ضد الإسلام والمسلمين . وسوف نشير فيما بعد إلى محاولة الحكومة الإسرائيلية لفرض ثلاثين كتابًا على الطلبة العرب المسلمين ، كلها في الهجوم على الإسلام وعلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم .

إن الدين الإسلامي يهاجم اليوم من كل اتجاه ، والمطالع لما توجهه شبكة المعلومات ضد الإسلام يحس وكأنها مصممة لشن حرب كلامية فضائية على الإسلام والمسلمين، ويحس كذلك وكأن الغرب وأمريكا ليس لهم عدو فعلاً غير الإسلام والمسلمين ، ففي الأسابيع الماضية طالعتنا هذه الشبكة من عدة مواقع بأكاذيب وأضاليل كافرة ومنفرة ، فقد كتب أحد الحانقين أن المسلمين يعبدون القمر ، وكتب آخر يزعم أنه قادر على معارضة القرآن إذ سود عدة صفحات بالعربية والإنجليزية ، نشرها على موقع «أمريكا على الخط» حاول فيها أن يحاكي نظم القرآن مع دس عقائد نصرانية ، في ثنايا كلامه الخارج على حدود المعقول والمنقول ، ولو أن المسيح نفسه عاد إلى الأرض في أيامنا هذه لعاقب هؤلاء المفترين المتجردين من أخلاق جميع النبيين ، ومحى بيده الشريفة كل ما كتب من هراء وافتراء .على سبيل المثال فقد كتب أحد المفترين (ا ل ص م) قل يا أيها المسلمون إنكم لفي ضلال بعيد ، إن الذين كفروا بالله ومسيحه لهم في الآخرة نار ، وعذاب شديد ... ».

والحروف الصم ليست ضمن الحروف المقطعة في القرآن الكريم ، وهي كفر أيضا «الصُّم» بتشديد الصاد مع الضم يعني الذين لا يسمعون ولا يعقلون ، وفي أخرى جاء «ا ل م ذ إنا أرسلناك للعالمين مبشرًا ونذيرًا تقضي بما يخطر بفكرك وتدبر الأمور تدبيرًا فمن عمل بما رأيت فلنفسه ومن لم يعمل فلسوف يلقى على يديك جزاءً مريرًا ...» فهذا المتبجح «يحرف كلمة المنذر إلى «المذ» أقرب إلى كلمة «المذنب» وقد هانت عليه محاولة تحريف أعظم وأصدق وأوثق كتاب لأنه هان عليه من قبل تحريف كتب الله السابقة ، وكلام رسل الله الأولين فالتحريف أبداً صناعته هذا فضلاً عن غثاثة وهشاشة هذا الكلام .

إن هذا الكلام بعيد عن البلاغة ، مبنى ومعنى . ومثل هذه المفتريات كانت تكتب

على ورق برسم المصحف وتوزع على المسلمين في آسيا وإفريقيا للتمويه عليهم ، حدث ذلك منذ سبعينيات هذا القرن ، بل كانت كتب غير إسلامية تقدم في بعض الإذاعات ذات الأهداف الخاصة الموجهة إلى الشعوب الإسلامية ، مقروءة بطريقة تشبه في أدائها طريقة قراءة القرآن الكريم.

وفي القاهرة نشرت مجلة «الصلة» ، وهي مجلة تطبعها بالفرنسية الجمعية الديمقراطية للفرنسيين المغتربين بالمعادي وتوزع على الفرنسيين المقيمين بمصر بغرض تعريفهم بالتقاليد المصرية فيما تزعم المجلة . في هذه المجلة وضعت صورة صفحة من المصحف سطورها غير مقروءة وفي وسطها رسمت مقشة زعم الكاتب أن عوام المسلمين يعتقدون فيها ويكنسون بها أضرحة الأولياء (الأهرام ٢٢ /٥/ ١٩٩٨ ص٥) .

هذا ما رآه أصحاب المجلة من الأهمية بحيث يعرفون به الفرنسيين المستنيرين المقيمين في مصر .

وقد لفت كاتب هذا البحث النظر لأول مرة في جريدة عقيدتي إلى كتاب يدرس بالعربية والألمانية في بعض المدارس الألمانية حرف فيه القرآن ، وذكرت على سبيل المثال أن مؤلف الكتاب رسم عبارة ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى «يا أيها الغبي لم تحرم ما أحل الله لك» .

أرأيت إلى مثل هؤلاء القوم الذين تلفح قلوبهم ووجوههم النار ، نار الحقد والكراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . الأدلة على أن هذه الحملات المحمومة غرضها سياسي وليس ديني فقط . إن المتعصبين من الغربيين لم يتركوا رحى يمكن أن تضر بالإسلام والمسلمين إلا أداروها ضده . فهم يروجون في هذه الأيام لأفكار مثل الإسلام دين العنف ، والجهل ، والمراوغة . وأن لون بشرة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بيضاء ، وبالتالي فمحمد كان ضد السود ، وأن المسلمين هم الذين ابتدعوا نظام الرق ، وهم الذين اتخذوا العبيد والجواري لأنفسهم . ويزعمون أن محمدًا بهذا قد أهان العبيد ، وأهدر إنسانية السود . هذه التفاهات نقلناها من شبكة المعلومات .

ومن هؤلاء من نفوا العصمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا من خلال الروايات الصحيحة التي لم يفهموها ، والروايات الضعيفة لبعض الأحاديث ، والتي لم يصححوا معناها ولا عرفوا مغزاها ، على أن يصوروا الإسلام على أنه دين

يهتبل بالخرافات بل إن بعضهم زعم أن في القرآن ما يناقض الحقائق العلمية والتاريخية ويتعارض مع ما جاء في كتب اليهود والنصارى (روز اليوسف ٢٢/ ٦/ ١٩٩٨ ص ٧٩-٨١).

إنه لا يوجد في القرآن ما يعارضه العلم الصحيح البتة ، فالحقائق العلمية لا تتصادم قط مع الحقائق القرآنية لأن الله تعالى هو الذي ألهم العلماء معرفتها ، والوقوف على أسرارها ومنافعها ، كما أنه هو الذي أوحى بالقرآن إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرفه بأسراره ومنافعه ، كما أ مره ببثه بين الأبيض والأحمر .

إن القرآن لا يعارض الفطرة السليمة ولا الحقيقة الثابتة وإنما يعارض الجهل والعنصرية ، والإلحاد والفساد في الأرض ، وإشاعة الفوضى بين الناس تحت أي مسمى.

إن المغرضين في الغرب يريدون أن يصدوا الناس عن الإسلام لأن الناس مقبلون عليه إقبالاً واسعًا ، وهم يريدون أن يوقعوا الفتنة بينهم ، ليس فقط بين المسلمين والمسيحيين في ديار الإسلام ولكن أيضا بين المسلمين المهاجرين في أمريكا وأوروبا .

إن أمريكا التي تدعي الدفاع عن المتدينين بأي دين كان وتعلن الحرب على الاضطهاد الديني باسم المحافظة على حقوق الإنسان ، هي المسئولة إلى حد كبير عن مثل هذه الحملات المستعرة ضد المسلمين في أنحاء العالم .

وامتدادًا لسلسلة الغارات على الإسلام والمسلمين ننقل هنا ما جاء عن مطيع عمر أبو محبة ـ وكيل مساعد وزارة التربية والتعليم ـ بفلسطين ، أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي بدأت الأسبوع الماضي تشكيل لجنة للعمل على تطبيق المناهج الدراسية الإسرائيلية على المدارس العربية في القدس ومنع سيطرة مؤسسات التعليم الفلسطينية على المناهج التعليمية . وقال أثناء عرض تقرير بلاده في الدورة الثامنة والثلاثين لمجلس الشئون التربوية لأبناء فلسطين بدمشق أن هناك أكثر من ثلاثين كتابًا تفرضها إسرائيل الآن على المدارس العربية بالقدس تشمل هجومًا وقحًا على الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي . وطالب المتحدث الفلسطيني بإنشاء صندوق خاص تشارك فيه الدول العربية والإسلامية لدعم التعليم بالقدس لمواجهة الممارسات الإسرائيلية والحفاظ على الهوية العربية . (جريدة الأهرام الثلاثاء ٢٣ يونيو ١٩٩٨ ص٨). ونشرت جريدة الشعب في الصفحة الثالثة منها (عدد ٢٣ يونيو ١٩٩٨) مقالاً

بعنوان (الشعب تكشف كذبة عمرها ٦٧ سنة كتاب ثالث يسئ إلى الإسلام في مكتبة الجامعة الأمريكية) . في بداية هذا المقال أورد الكاتب كلمة نشرتها الأهرام في عام ١٩٣١م تعليقا على إحدى «البذاءات» المتكررة التي وجهتها الجامعة الأمريكية بالقاهرة إلى الإسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والكلمة هي : «هذه الجامعة التي تتظاهر بأنها مؤسسة علمية هي مجرد هيئة للمبشرين الذين لا عمل لهم إلا إهانة دين الدولة .. إلى حد إهانة كتاب الله ونبيه الذي نؤمن به». ويأخذ كاتب المقال على المسئولين بالجامعة الأمريكية احتفاظهم بكتاب يسئ للإسلام لمدة سبع وستين سنة مع عدم قدرتهم على تقديم أية توضيحات في تبرير وجود هذا الكتاب في مكتبة الجامعة منذ أن أثيرت المشكلة حوله للمرة الأولى في عام ١٩٣١م، مما يدل على إصرار الجامعة على الإساءة إلى الإسلام ، ويرى كاتب المقال أن المسئولين بالجامعة الأمريكية إنما يكتفون بالتبرير والمراوغة عند حدوث أي اعتراض من قبل المسلمين على ما يجري بجامعتهم ، وقد جاء رد الجامعة الأمريكية في عام ١٩٣١م على المعترضين على الكتاب سالف الذكر بأن كلامهم «تنقصه الدقة»، وأنه «متعصب وغير موضوعي» ، كما أورد صاحب المقال أن المسئولين بالجامعة الأمريكية يعرفون جيدًا أن احترام المقدسات الدينية ثابت وطني مصري لا يقبل التجاوز ، ويستشهد على ذلك بأن المسئولين في مكتب أمريكا والشرق الأوسط - أميديست - المسئول عما يسمى بمنح السلام الدراسية كانوا يوزعون على الطلبة القادمين من مصر وغيرها ورقة تسمى «ورقة التوجيه» تتضمن التعليمات الأساسية للتعامل داخل المجتمع الأمريكي ، وثاني بنود هذه التعليمات هو هذا البند «الأمريكي لا يحب المناقشة في الدين أو الهجوم عليه ، وعمومًا فهو يعتبر الجدل الديني تصرفًا عديم اللياقة» . يريد الكاتب أن يقول أن الجامعة الأمريكية لا تطبق مثل هذا الكلام في مصر قلعة العالم الإسلامي ، ويشير المقال إلى ما جاء في كتاب تاريخ الجامعة الأمريكية ص ٦٥ إزاء حادثة عام ١٩٣١م «اهتدى شاب مسلم إلى البروتستانتينية» ، يعني أنه اعتنق المسيحية دون إذن من عائلته، ولأنه درس يومًا ما في الجامعة الأمريكية ، فقد تعرضت الجامعة للمؤاخذة رغم أن طاقم الجامعة لم يتدخل في الجدل الدائر . ويذكر المقال أيضًا أن واطسون أول رئيس للجامعة الأمريكية وأرثر جيفري من كبار المستشرقين كانا قد هوجما في مقال الأهرام السابق الذكر بسبب تعمدهما الإساءة إلى الإسلام . ويشير كاتب نفس المقال بجريدة الشعب أن مكتبة الجامعة الأمريكية تضم أيضًا كتابًا عنوانه (محاورات من

الخيال) لمؤلفه والترسافيج لاندور وهو أيضًا ككتاب مكسيم رودينسون موجه ضد الإسلام والمسلمين وبالطبع فإن أمثال هذه الكتب كثيرة يأخذ بعضها عن بعض ويعاون أصحابها بعضهم بعضًا في تتبع عورات المسلمين ، ونقاط ضعفهم وفي حبك التهم الباطلة ضدهم وضد دينهم وقد عرضت لخمسة كتب على الأقل من هذا الصنف بالدراسة والرد في كتابي الإسلام والغرب وهو تحت الطبع .

إنه من الواضح الآن أننا نعيش في عالم يمكن أن نسميه بعالم العواصف، كل شيء فيه يتحرك بسرعة ، ولست أعني بالعواصف ـ العواصف الطبيعية التي تعبر القارات والمحيطات والبحار لتصل إلى الأماكن البعيدة فتحدث فيها ما شاء الله لها أن تحدث ـ بل إنني أعني تلك العواصف الهادرة والمدمرة التي تضرب وبشدة في القيم والثقافات والحضارات المختلفة للشعوب ، أعني عواصف الرأسمالية والتكنولوجية ، والاختراعات والاكتشافات العلمية ، وثورة المعلومات والاتصالات ، تلك العواصف التي لا تستثني أحدًا ولا بلدًا ولا دينًا ولا ثقافات ولا قيمًا ولا عادات إلا وهي تحاول زعزعتها أو طمسها ، و من هذه العواصف المدمرة شبكة المعلومات وعملية الاستنساخ والتهجين، تهجين الأفكار ،وتهجين الديانات ،وتهجين الثقافات ؛ وأيضًا الشركات العملاقة متعددة الجنسيات وعابرة القارات ، وما أطلق عليه حديثًا حكومة الفضاء التي من شأنها السيطرة على سماوات كرتنا الأرضية، وكذلك فكرة النوع أي المساواة الكاملة بين الرجال والنساء بحيث لا يكون الرجل رجلاً ولا المرأة امرأة ، كما يسعى إليه أصحاب نظرية النوع Gender وأصحاب نظرية الديكونستراكشن Deconstruction وتعني هذه النظرية هدم كل قديم وإقامة بناء جديد مكانه . ونظرية الأسرة الصناعية والإباحية الجنسية ، ومحاولة التوصل إليها عن طريق إزالة الحياء الجنسي ، ولو بالأقراص . وأيضا فإن من هذه العواصف المدمرة فكرة العولمة أو الكوكبية يعني أن يكون العالم كله مثل الوطن الواحد يسود فيه نظام السوق الواحد والنظام الاقتصادي الواحد والثقافة الواحدة ، وخصخصة الغلاف الجوي والبحار والمحيطات وإزالة جميع الحدود الفاصلة بين الدول وتحويلها إلى خيوط أو خطوط وهمية مثل خط الاستواء كل هذه العواصف تأتي للأسف من الغرب .

إن بعض الدول قد فطنت إلى خطر شبكة المعلومات على قيم شعوبها وتقاليدهم، وهي تحاول الآن إيجاد وسيلة لتصفية المعلومات أو التحكم فيها لوضع حد لما تمثله من خطر على شئونها الداخلية ، تفعل ذلك الصين وسنغافورة على سبيل المثال ، بل إن

أمريكا نفسها تحاول الآن عمل كود خاص أو شفرة خاصة تتحكم عن طريقها في المواد التي تقدمها الشبكة إلى الطلاب الأمريكيين . هذا بالرغم من أن أمريكا ترى أن شبكة المعلومات عبارة عن متجر ضخم للعقائد وأنه ينبغي من ثم أن تكون الشبكة حرة في نشاطها .

التعريف بالكاتب والكتاب :

مكسيم رودينسون كاتب فرنسي معني بعلم الاجتماع وتاريخ المجتمعات والصراعات السياسية . وهو يهودي الأصل ولد في باريس عام ١٩١٥م . وكان والده واحدًا من هؤلاء الذين أسسوا اتحاد العمال اليهودي في باريس . وقد تلقى رودينسون تعليمه في جامعة السوربون فدرس اللغات السامية ، وعلم الأجناس ، وتخصص في الدراسات الشرقية ، وفي الدراسات الاجتماعية منها على وجه الخصوص والصراعات السياسية . وخدم في الجيش الفرنسي في سوريا أثناء الحرب . وأقام سبع سنوات في لبنان كان يعمل خلالها مدرسًا بمدرسة ثانوية إسلامية ، ثم عمل موظفًا بقسم الآثار الفرنسي . التحق رودينسون بالحزب الشيوعي في عام ١٩٣٧م . وتنقل في عدة بلدان عربية أفاد منها بلا شك في معرفة عادات وتقاليد شعوبها. ثم عاد إلى فرنسا في عام ١٩٤٧م ليعمل مسئولاً عن المطبوعات في المكتبة الأهلية بها . وفي الفترة ١٩٥٠-١٩٥١م أصدر رودينسون مجلة سياسية عن الشرق الأوسط ؛ وألف إلى جانب هذا الكتاب الذي هو موضع البحث هنا ، كتابه الإسلام والرأسمالية Islam and Capitalism والذي نشرته له مؤسسة بينجوين العالمية للطباعة والنشر عام ١٩٦٦م ، والذي ترجم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٧٤م .

يقول رودينسون في هذا الكتاب، وأثناء كلامه عن القرآن والسنة أن المؤرخين لا يعتبرون السنة دالة على نوع تفكير محمد إلا في حدود ضيقة جدًّا ، ولكن المفكرين الأحرار من المسلمين بالاسم ، بل وحتى هؤلاء الملحدين الذين لهم مواقف عدائية تجاه الإسلام ؛ كثيرا ما يشيرون إلى الأحاديث على أنها وثائق تاريخية صحيحة (P12).

ثم يقول فيما يشبه الشكوى ، في الهامش رقم واحد في التعليق على كلامه السابق بشأن القرآن والسنة .. «إن الضغط الاجتماعي ، سواء كان هذا الضغط منتشرًا أو منحصرًا في نطاق المنظمات ، فإنه يجعل من المستحيل غالبًا نشر أي كتاب يقوم على النقد والتحليل باللغة العربية أو اللغة الفارسية أو اللغة التركية..إلخ . تستوي في

ذلك الدراسة العلمية البحتة والدراسة العامة التي توجه للجماهير العريضة . ولهذا فإن الدراسات النقدية التي قدمها الباحثون الغربيون في الموضوعات الشرقية قد قوبلت بتوجس حتى من قبل المفكرين الأحرار والتقدميين في المجتمع الإسلامي ، وذلك لأنها تصطبغ من وجهة نظرهم بالعنصرية وبالهيمنة الاستعمارية ، وبالرغبة في تشويه صورة الديانة القومية للبلاد ، يعني الإسلام . ومن وجهة نظر رودينسون كما ذكرها في كتابه هذا ، الذي تحت المجهر ، فإنه بناءً على هذه الذريعة قد أحاط المسلمون أنفسهم بسياج صناعي أو وهمي ضد النقد . ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى نقطة أخرى جديرة بالاعتبار وهي أن الكاتب الفرنسي يعتمد في كتابه هذا على دراسات أو قراءات شخت Schacht في السنة النبوية ، ويتبنى بالطبع نتائجه الظنية الواهية على أنها مسلمات لا تقبل الجدل أو المراجعة . وقد اعتمد رودينسون على كتابي شخت «أصول الفقه المحمدي» (أكسفورد كلريندون ١٩٥٠م) « ومقدمة في القانون الإسلامي (نفس دار النشر ١٩٦٤م). وكتاب «إسرائيل والعرب» (Rodinson Islam and Capitalism P249) Israel and the Arabs ترجمه له إلى الإنجليزية مايكل بيرل وبرين بيرس ونشرته أيضا دار بينجوين العالمية طبعة أولى ١٩٦٨م وطبعة ثانية ١٩٨٢م كما ظهرت ثلاث طبعات أخرى لنفس الكتاب في الأعوام ١٩٦٩م و١٩٧٠م و١٩٧٣م. ووصف المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي هذا الكتاب بقوله :

"A Splendid Book: it gives a precise record of the facts; its judgements are discerning; there is in it a deep concern both for justice and for humaneness" - **Arnold Toynbee**.

« هذا كتاب رائع ، يقدم سجلاً دقيقًا للحقائق ، أحكامه ثاقبة ، ويتضمن اهتمامًا عميقًا بالعدل والإنسانية كلاهما ».

وليس من غرضنا أن نفحص هنا هذا الكتاب الأخير برغم أهميته لنا كعرب وكمسلمين ، إلا أننا نلفت النظر إلى نقطتين مهمتين فيه ، هما : النزعة الدعائية المغالية لصالح إسرائيل واليهود ، بالطبع على حساب العرب وهذا واضح بداية من غلاف الكتاب ، هذا أولاً. وأما ثانيًا : فإنه في هذا الكتاب يكرر ما قاله في كتابه محمد من أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نسج دينه على منوال اليهودية يقول رودينسون بحسب الترجمة الإنجليزية :

"Islam, (Is) a new religion born in the heart of the Arabian Peninsula, which drew its authority from their God, their laws and their prophets" (Page 8).

ومما يدل على اهتمام رودينسون بمتابعة حركة الإسلام في العالم أنه كتب مقدمة لكتاب الكاتب الفرنسي هيلن كاراري دينكوسي: «الإسلام والإمبراطورية الروسية».

Helene Carrere D'encausse: "***Islam & the Russian Empire Reform & Revolution in Central Asia.***" Introduction by Maxime Rodinson . Translated by Quintin Hoare. Comparative studies on Muslim societies: volume (8). Published (1989).

ومن الجدير بالإشارة إليه أن كتابات مكسيم رودينسون ، والإعلان عنها باللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وبعض اللغات الأخرى تحتل مساحة واسعة على شبكة المعلومات وقد وجدنا لهذا الكاتب القسم الثالث من كتابه « محمد » عليها والذي عنوانه «ميلاد نبي» ويشغل الصفحات ٣٨-٦٨ بحسب النسخة التي اعتمدنا عليها .

كتاب رودينسون « محمد »:

نتناول الآن بالوصف والتحليل كتاب «محمد» لرودينسون . يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة وإحدى وستين صفحة من القطع الصغير ، ويشتمل على ثلاثة تمهيدات ومقدمة وسبعة أبواب . نشر الكتاب أولاً باللغة الفرنسية في عام ١٩٦١م. ثم ظهرت الترجمة الإنجليزية له عام ١٩٧١م . طبعة أولى ، ثم ظهرت طبعته الثانية في عام ١٩٧٦م . وقد نشرته مؤسسة بينجوين العالمية التي تقوم بتقديم طبعات شعبية لمطبوعاتها حتى تكون في متناول عامة القراء ، وتوزع من ثم على أوسع نطاق.

مما لاحظناه أولاً على الكتاب : اعتراف الكاتب بأنه لا يقدم حقائق جديدة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما قراءة جديدة وتحليلاً جديدًا ، من وجهة نظره بالطبع . ومع اعتراف الكاتب بجهود السابقين عليه من سلفه المستشرقين ، فإننا نراه يصنف الكتب الغربية التي تناولت حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى : كتب جديرة بالقراءة ، وإلى كتب ممتازة . وهو يعترف كذلك بأن الحقائق التاريخية الموجودة لا يمكن تغييرها ، ولكن يمكن لكل جيل ولكل كاتب أن ينظر إليها بمنظاره الخاص ، وأن يقدم لها التفسير الذي يراه (P. XI) والكاتب جد واع بأن كتابه لن يروق المسلمين، وهو يعتذر سلفًا عن ذلك بأنه لم ينظر إلى المصادر الإسلامية بنفس نظرة المسلم إليها ، ويقول أنه لا يقبل شيئًا من الإسلام إلا على أساس نقدي (P. XII)

ومن دفاع الأستاذ الفرنسي ديبييه ـ الذي كلف الطلاب بقراءة هذا الكتاب في

الجامعة الأمريكية ـ عن نفسه، أنه أخبر طلابه بأن هذا الكتاب قد يصيب المسلم بضيق أو غثيان ، وذلك لإمعان كاتبه الفرنسي في الطعن على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الأهرام عدد ٢٩ مايو ١٩٩٨م) .

ومن العجيب حرص رودينسون على التنبيه على أنه أضاف بعض كلمات إلى الترجمة الإنجليزية ، والتي لم تكن في الأصل الفرنسي ، ولكنه لم يتورع عن إضافة أو نقل أخطاء كثيرة ومغالطات شنيعة ضد دين تعتنقه قلوب أكثر من مليار مسلم في العالم ، وضد نبي تصلي عليه أمته وتسلم بعدد أنفاسها كل يوم . ولولاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما صحت العقيدة ، ولما صححت تلك الأخطاء التي عششت في عقول البشر ، ولما عم نور الله وشع نور الضمير في أرجاء المعمورة ، ولما قام للدين دولة في قلوب العالمين إلى يوم الدين .

ومن العجيب أيضًا أن رودينسون في مقدمته يعترف بفضل صديقه الكولونيل برنارد فيرنير ويشكره لأنه صحح له معلومة عن طبيعة الجمل (P. X 1X) ولكنه للأسف لم يستطع أن يصحح موقفه من خير النبيين ، ولم يحاول كذلك أن يبحث عمن يصحح له أحكامه الخاطئة على الإسلام والمسلمين .

من أخطاء الكاتب الشنيعة بصفة عامة أنه يعتبر المعلومات التي جاءت بها الروايات الصحيحة عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرافات ، ونسيج من الخيالات ، وأما الروايات الضعيفة ، والمعلومات المغلوطة فهي عنده روايات حقيقية وصحيحة . وهو إذ يقرر أنه بكتابه هذا كان يهدف إلى وضع رواية عن محمد تسهل قراءتها ، فإنه من المغامرة غير العلمية أن يحقق رودينسون هذا الهدف على حساب أعظم رجل في تاريخ الإنسانية ، رجل جاء بالحق وبه نادى ، وجاء بالحقيقة من عند الله وإليها دعا ، ووضع على أساسها قواعد أعظم أمة وحضارة في التاريخ . فحياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ثم إنما تقوم على الحقائق لا على الأساطير . ومن الملحوظات العامة أيضًا أن الكاتب يعتمد على كتب المستشرقين وترجماتهم للقرآن الكريم دون أن يفحصها فحصًا علميًا أو يتوقف عندها مليًا ، ولذلك فقد أمدته هذه الكتب وتلك الترجمات بلا شك بالمعلومات والأحكام غير الصحيحة بالمرة حول الإسلام ، فعلى سبيل المثال يشير رودينسون إلى كتاب تور أندري وهو بعنوان «محمد الرجل ودعوته» (لندن ١٩٣٠م) الذي ركز فيه المؤلف على التحليلات النفسية للمادة العلمية التي أساء في اختيارها من المصادر الإسلامية ، وذلك دون فحص أو تقويم ليقدم من

خلالها صورة مفصلة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يراها هو ، لا كما هي في الواقع. ومن الجدير بالذكر أن رودينسون لم يخف إعجابه الشديد بترجمة ريتشارد بل لمعاني القرآن ، وبأعمال المستشرق الأيرلندي مونتجمري وات التي كتبها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي «محمد في مكة» (أكسفورد ١٩٥٣م) . «محمد في المدينة» (أكسفورد ١٩٥٦م) ، «محمد كنبي ورجل دولة» (أكسفورد ١٩٦١م) . وهذا الكتاب الأخير يعتبر اختصارًا للكتابين الأولين . ولا يخفي رودينسون إعجابه الشديد كذلك بمنهج وتحليلات وات في الكتابة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الإسلام، ولهذا فقد ذكر هذه الكتب في المقدمة ، ثم في قائمة المصادر مع التمجيد الزائد لها . وقد تصدينا لكتاب المستشرق وات الأخير بالنقد والتحليل ، ولفتنا النظر إلى ما فيه من مغالطات ومخالفات . وعلى أي حال فإن كلا الكاتبين ، وات ورودينسون ، متفقان بشكل عام في تناولهما للإسلام ، وفي رؤيتهما الخاصة بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن الكريم .